

هايد بارك وأرض السرايا!



21 مارس 2019 - 06:51

فارق كبير ومسافات بعيدة بين الهايد بارك وهي اكبر الحدائق في لندن يلتقى فيها الناس ويعبرون عن آرائهم ويوصلون رسائلهم ، وحتى السياسيون والكتاب والمفكرون يحضرون، فباتت تشكل نموذجا لحرية التعبير، وتفخر بريطانيا بأنها تملك هذه الحديقة الديمقراطية، ولا تقتصر على اللقاءات السياسية، بل يقضى الناس أوقاتهم فيها ينفسون ويقللون من درجات الإحباط. وأرض السرايا بقعة صغيرة جدا في غزة المحاصرة والمغلقة بفعل عوامل الطبيعة والبشرية، والتي تقع في قلب مدينة غزة . هذه المنطقة التي يسكنها أكثر من مليوني نسمة تغلب عليهم العنصر الشبابي الباحث عن الحياة في هذه البقعة الصغيرة باحثا عن عمل أو رزق أو مكان يجلس فيه، حاملا على كتفيه كل أحلام الشباب التي يراها عبر وسائل التواصل الإجتماعي التي يجيدونها. غزة تحكمها حماس والسلطة وإسرائيل، ومعبرها الوحيد معبر رفح الذي يربطها بالعالم الخارجي. ولوسألت أي شاب ماذا تتمنى لسبقك بالإجابة أرحل وأهاجر رغم الموت الذي ينتظر من يرحل ويهاجر . غزة هذا العروس الصغير الجميل التي تقع على أجمل الشواطئ البحرية ،وهي منطقة ساحلية ضيقة لا تزيد عن ثلاثين كيلوا مترا ، وليس من حقهم أن يذهبوا ويسبجوا ويصيّدوا بعيدا لأن تضع إسرائيل حواجزها ويوارجها التي تمنع الصيادين والناس من السباحة الحره. فالبحر مغلق والبحر مغلق والجو مغلق، فلا يبقى لسكانها إلا هذه المساحة من الأرض الصغيرة التي لا تزيد عن 340 كيلو مترا، وما يخص منها للحراك أكثر من مائة كيلو متر، التي يمكن للمرء أن يعبرها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا على الأقدام. تنتشر فيها مواقع كثيرة لجماعات المقاومة ممنوع الإقترب منها، حتى الأرض الزراعية في تقلص وتراجع، وقد يأتي اليوم التي لا يجد السكان فيها ما يشبع جوعهم. هذه البقعة من العالم ثروتها الحقيقية في عقول شبابها وقدراتهم العلمية والرقمية ، هذه القدرات تعاني من النفاذ والإجهاض والقتل الذاتي. الكل في حاجة أن يصرخ وبأعلى صوته، وماذا لو منع الإنسان من الصراخ، ماذا يملك من خيارات؟ ان يصرخ في وجه غيره، ان يحطم ما يملك أن ينتحر ، كلها خيارات مفتوحة امام الشباب ، الشباب قوة كبيرة تحتاج للعمل والزراجه وبناء الأسره، تحتاج بيئة لتفرغ فيها قدراتها وإبداعاتها، فإذا لم تتوفر هذه البيئة ماذا يفعل هذا الشباب والقوة التي تحركه وتدفع من حوله. الشباب مثل التيارات البحرية والعواصف الجوية التي تحتاج من يسك بيدها حتى يوصلها لشواطئ ألمان. تزداد الأمور صعوبة أمام هؤلاء الشباب فالبيئة الداخلية طارده وليست حاضنه، والإقليم طارد ، وحتى البيئة الدولية باتت طارده وليست حاضنه، لذلك ما ينبغي التفكير فيه ممن يريد أن يحكم غزة أن يخلق البيئة الحاضنه لهؤلاء الشباب ، بتوفير فرص العمل والحياه ومقومات التعبير وتفرغ الضغوطات الشبابية، وهذه البيئة تحتاج لبيئة سياسية مستقره بعيده عن الحرب وبعيده عن العنف ، بيئة تتعاقب فيها كل القوى من أجل البناء، ان تتوفر البيئة الإقتصاديّه والإجتماعية والقيمية التي تسمح بالحياة ، والبديل لذلك وهذا قانون حتمية الحياه الانفجار الداخلي الذي يعبر عن نفسه في صور كثيرة بداية من الإنتحار مرورا بالتعنيف الأسرى، والمجمعي وزيادة نسبة الجريمة والقتل والسرقات وغيرها من الصور التي لم تكن معروفة في غزة، ولأخطر من هذا إنزلاق الشباب إلى الجماعات المتطرفه والمتشدده وتبني أفكار تحمل في طياتها رفضا وإنتقاما من الكل. وهناك علاقة طردية ثبت صدقيتها أنه كلما زادت درجة القمع والتكثيف وزاد الخوف تولدت حركات مضاده. فالقمع والتكثيف ليس هو العلاج،

بل الإحتواء والإحتضان وتوفير البيئة السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي تتيح لهذه الشريحة من الشباب ان تجد نفسها وتعبر عن آمالها وتطلعاتها. ومساهمتها في عملية البناء. ومن المفارقات التي كتبت على غزة أن البيئة الوحيدة التي يمكن أن توفر فرص عمل للعاطلين والفقراء هي إسرائيل ، وهي بيئة معادية من تتحكم في الحصار والحرب ويدها مفاتيح غزة ، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، ولعلى أتساءل لماذا إسرائيل بيئة توفر فرص العمل، لا أبعد عن الحقيقة لأنها وفرت بيئة التنمية المستدامة، المشكلة ليست أن غزة صغيرة المساحة ، وان غزة تعاني من اعلى نسبة فقر وبطالة في العالم، وتعانى من فقر الموارد الطبيعيه فإسرائيل تعاني من هذا الفقر ، لكنها إستثمرت في العقول وفي التعليم الرقمة . نعم يمكن لغزة بشبابها ان تصبح بؤرة ومركزا للصناعة الرقمية والتكنولوجية ، غزة في حاجة لهذه البيئة الحاضنة لهذه القدرات. وأعود لأرض السرايا وأقول من حق الشعب ان يصرخ ، ويعبر عن صوته وعن مطالبه وليأتوا إلى أرض السرايا ويعلموا صراخهم والكل يشاركهم ، ويرسلوا رسالة لأهل الحكم وللعالم عن مطالبهم. هذا الشعب الذى يخرج بمسيرات العوده ويستجيب لنداء قادته وحاكميه ويضحى بحياته ، كم من شاب أستشهد في هذه المسيرات، وكم من شاب فقد أحد أعضائه، وكم من شاب أصيب وجرح، من حقه على من يحكم أن يصغى ويستمع وينصت لهم. دعونا نعيد لغزة صورتها الجميلة وإبتسامتها وإبفتاحها وإعتدالها غزة ليست ثكنة عسكرية وملاذ لكل الجماعات المتشدده والمتطرفه ، وليست ملاذ لمن يريد أن يهرب، غزة التي عرفت بمقاومتها الشريفة والقوية ، اوقول اول وظائف المقاومة هي حماية هذا الشعب الذى يوفر الحاضنة القوية ، وأقول لمن بيده القرار والحل وهنا بلا شك حركة حماس ان تبحث عن البدائل التي توفر البيئة الصالحة للعيش، الحل ليس صعبا ،الحل يعيش بيننا ومنا، علينا أن نبدأ ، المقاومة إعمار وبناء والحكم إستجابة وتكيف وحلول ، بأهلها ولكل أهلها ، ولا ننسى أن غزة هي فلسطين وفلسطين غزه. وأخيرا لنحول أرض السرايا لهايد بارك غزه. وللحديث بقية.